وضع «لم يسبق ان بدا لها وكأن كل عامل ممكن قد اصطف ضدها، مغلقاً كافة الخيارات فيما عدا الاسوأ منها» (ص ٦٧)، كان يترتب عليها الحصول على المعلومات الميدانية في كل لحظة وتقديم البيانات وخلق إعلامها الخاص المضاد للاعلام الاسرائيلي ـ الاميركي، كي تظهر بصدق ومصداقية تجاه جماهيرها وتجاه سكان بيروت عموماً.

ينتقل المؤلف، بعد هذا التقديم، الى دور الوضع العسكري في التأثير في رؤية القيادة الفلسطينية، وبالتالي في صنع القرار لديها؛ فيشرح اهم المعالم العسكرية لمراحل الحرب الاربع، موضحاً الاحداث الصغيرة التي ساهمت في بناء المعنويات المقاتلة، كإسقاط طائرة سكاي هوك وصد الانزالات البحرية الاولى والاستيلاء على الدروع الصالحة في خلدة. ويلاحظ الخالدي قلة أثر دخول سوريا الى الحرب على مجريات الامور في القطاع الساحلي، خاصة وان القوات السورية لم تمض طويلاً في القتال بعد تدمير دفاعاتها الجوية. ويظهر من السرد، أساساً، ان الموقف الفلسطيني تصلب واشتد عوده بعد ان استعاد انفاسه عقب الصدمة الاولى، وانه لم يعد يتضعضع او يهتز، مهما فعل الجيش الاسرائيلي، مما يعني ان الاعتبارات الرئيسة التي دخلت في حساب قيادة م.ت.ف. لم تكن آنية، كتصعيد القصف الجوي، بل طويلة الاجل. ويلخص الخالدي تلك الاعتبارات بالرأي العام اللبناني في بيروت الغربية، وموقف الجماهير الفلسطينية المحلية التي ستتلقى عواقب كل قرار، والموقف العربي الصامت، إن لم نقل المؤذي.

ويرى المؤلف، عملياً، ان قيادة م.ت.ف. أدركت، في نهاية المطاف، ان الاطالة والانتظار ريثما يشتري الصمود تحركاً عربياً او دولياً، لا نفع فيه، واضطرت، عند ذاك، الى الخروج. ولو كان الموقف الشعبي الداخلي افضل في مرحلة ما قبل الحرب، لاستطاعت م.ت.ف. اطالة التحدي اكثر. ولو تحرك العرب، او بعض العرب، لرضي السكان المحليون بابداء المزيد من الصبر وروح التضحية. غير ان المدافعين وصلوا، اخيراً، الى نقطة كانت ستتضاءل بعدها عائدات الصمود، بل وكانت ستنشأ معضلات داخلية. ويعبر المؤلف عن هذه المفارقة بالقول ان الدرسين الاهم اللذين حملهما المقاتلون الفلسطينيون من بيروت كانا ان الدول العربية لا تقدر ان تسمح للمنظمة بالخروج بنصر ما من بيروت (لانها صمدت اكثر منها)، وانه يمكن الوقوف في وجه اسرائيل، بنجاح، تحت ظروف معينة مؤاتية.

بعد دراسة مختلف العناصر والخلفيات التي دخلت في رسم الصورة السياسية ـ العسكرية الشاملة امام عيون القيادة الفلسطينية في حرب العام ١٩٨٢، يكرس الخالدي الفصول الثلاثة المتبقية من الكتاب لتحليل عملية اتخاذ القرار المركزي: قرار مغادرة بيروت. وينطلق المؤلف، في بداية الفصل الرابع المخصص لمرحلة حزيران (يونيو) في اتخاذ ذلك القرار، بشرح موقع بيروت بالنسبة الى الفلسطينيين، مؤكداً انها باتت «العاصمة السياسية والفكرية والمالية والادارية والروحية الوحيدة التي عرفوها منذ العام ١٩٤٨» (ص ١٠٠). ويسأل بعد ذلك، كيف اتخذ القادة الفلسطينيون قرارهم ؟ وماذا كان التفاعل فيما بينهم ؟ من لعب الادوار الرئيسة ؟ ومتى اتخذت القرارت ؟

يبدأ الخالدي بالاجابة على هذه الاسئلة (علماً بأنه لا يدعي بان اجاباته ستكون فاصلة) بالتعريف بصانعي القرار الفلسطيني. فينتقل الى وصف حفنة الرجال الذين شكلوا القيادة الفلسطينية الفاعلة، والذين اتخذوا القرارات الصعبة ورسموا السياسات. ويؤكد ان السلطة الفعلية خلال الازمات الطارئة تركزت لدى «فتح» والتنظيمات الفلسطينية الاخرى، وليس في أطر م.ت.ف. الرسمية، مع الاقرار بأهميتها في رسم السياسة العامة وتحديد الميزانيات خلال اوقات «السلم». ويضيف المؤلف ان الوجوه البارزة في «فتح» كانت لياسر عرفات (ابو عمار) وخليل الوزير (ابو جهاد) وفاروق القدومي (ابو اللطف) وصلاح خلف (ابو اياد)، يتبعهم خالد الحسن ومحمود عباس (ابو مازن) ومحمد غنيم (ابو ماهر)، ثم العميد سعد صايل (ابو الوليد) وهاني الحسن ونمر صالح (ابو صالح) ضمن الجيل «الصاعد». ويؤكد، أخيراً، ان الذين قدموا مساهمة معينة، وان كانت رافدة وليست حاسمة في صنع القرار الاعلى، هم د. جورج حبش ونايف حواتمة وقيادتا تنظيميهما ـ التنظيمان الفلسطينيان الوحيدان «المستقلان» غير «فتح».